خلاصة المدرسة القرآنية

للسيّد محمّد باقر الصّدر رحمه الله

الإهداء

إلى طلاب البكالوريوس
في جامعة آل البيت عليهم السلام العالميّة
كلّيّة القرآن والحديث



إعداد
الشيخ أركان الخزعلي

هذه خلاصة تُقرأ بعد قراءة متن الكتاب

اسم الكتاب: ....خلاصة المدرسة القرآنية (للسيد محمد باقر الصدر)

إعداد: ....الشيخ أركان الخزعلي

الطبعة: .... الأولى ٢٠٢٢م / ١٤٤٣

القطع: .... ١٧ × ٢٤ سم

عدد النسخ: ....١٠٠٠ نسخة

الناشر: .... مركز الهاشمي للإبداع

www.alhashemi.net
info@alhashemi.net

بسم الله الرحمن الرحیم

المُقَدِّمَةُ

بسمِ الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمـدُ للهِ ربِّ العالمـين، مُنـزِّل الكتـابِ الكريـمِ، والصَّـلاةُ والسَّـلام على سـيِّد الخلقِ أجمعين، حافـظِ وحيه الصَّـادقِ الأمين، وعـلى أهلِ بيتهِ المعصومينَ الطَّاهرين، وعـلى صحبهِم الغرُّ الميامين المُنتجبين.

وبعدُ...

اسـتطاع السَّـيد الشَّـهيد الصَّدر رحمه الله بأفكارهِ وكتاباتهِ، وكفاءَته وقدرتـهِ ومدرسـتهِ أن يُقدِّم للمجتمعِ الإنسـانيِّ ثـروةً فكريَّةً كبيرةً في كافَّة المجالاتِ، كالاقتصادِ والفلسفةِ والمنطقِ، والكلام والفقهِ، والأصولِ والتَّاريخ والتَّفسـير، والتي ما زالت السَّـاحاتُ الفكريَّةُ تسـتلهم من فكرهِ وعلمهِ، حيثُ نفـذ نبوغهُ صميمَ القلوب بصفتهِ

شخصيَّةً علميَّةً وفكريَّةً بارزةً، كما أسَّس مدرسةً إسلاميَّة تتمتَّع بالشُّموليَّةِ والحركةِ والحيويَّة، والتَّجديدِ والعالميَّة.

ومن هذه الثَّروةِ الفكريَّة كتابه (المدرسةُ القرآنيَّة)، و هوعبارةٌ عن مجموعةِ محاضراتٍ ألقاها ﵀ لطلبته في أواخر حياتهِ، ونظراً لأهميَّةِ هذا الكتاب لدَى المتخصِّصين في تفسيرِ وعلومِ القرآنِ؛ ارتأينَا ضرورةَ تلخيصهِ بعد النَّظرِ فيه والإمعانِ الدقيق؛ لِما يُشكِّل أهميَّةً في الدِّراساتِ القُرآنيَّة، ولا سيما التَّفسيرُ الموضوعيُّ للقرآنِ الكريم.

لذا قدَّمنا هذه الخلاصةَ بأسلوبها السَّهلِ والمُختصر، فهي عُصارةُ ما جاءَ في كتاب الشهيد الصَّدر﵀، هديةً لطلاب البكالوريوس في جامعة آل البيت عليهم السلام العالمية، كلية القرآن والحديث، ولكنْ ليعلمَ الطالبُ أنَّ هذه الخُلاصةَ لا فائدةَ منها ما لم يُقرَأ متنِ الكتابِ أوَّلاً. نسأل الله القبولَ في القولِ والعملِ، وأن يجعلَها مُفيدةً لنا ولغيرنا، إنَّه سميعٌ مجيب.

***

مُلَخّص
الدَّرسُ الأوّلُ

الأهدافُ المطلوبةُ من هذا الدرسِ

* أن يتعرَّف الطالبُ على المناهجِ والاتِّجاهاتِ التَّفسيريَّةِ
* أن يتعرَّف الطالبُ على أبرز اتِّجاهين لحركةِ التَّفسيرِ
* أن يتعرَّف الطالبُ على خصائصِ التَّفسيرِ التجزيئيِّ والموضوعيِّ
* أن يتعرَّف الطالبُ على أوجهِ الاختلاف بين التَّفسيرِ الموضوعيِّ والتَّفسيرِ التجزيئيِّ

١ـ ذكر السَّيد الشَّهيد الصَّدر رحمه الله في هذا الدرسِ تنوّعَ التَّفسيرِ، واختلافَ الاتِّجاهات، فمنها:

أ) الذي يهتمُّ بالجانبِ اللَّفظيِّ، والأدبيِّ والبلاغيِّ من النَّصِّ القرآنيِّ.

ب) الذي يهتمُّ بجانبِ المحتوى، والمعنى والمضمُون.

ج) الذي يُركِّز على الحديثِ ويُفسِّر النَّصَّ القرآنيَّ بالمأثور عن الرَّسولِ وأهل بيته عليهم السلام، أو بالمأثورِ عن الصحابةِ، والتابعين.

د) الذي يعتمدُ العقلَ أيضاً كأساسٍ من أُسس التَّفسيرِ، وفَهمِ كتابِ الله سبحانه وتعالى.

هـ) الذي يتَّخذ مواقفَ مذهبيَّةٍ مُسبقةٍ، ويحاولُ أن يُطبِّقَ النَّصَّ القرآنيَّ على أساسِها.

و) الذي يحاولُ أن يستنطقَ النَّصَّ القرآنيَّ، ويُطبِّق الرَّأي على القرآنِ، لا القرآن على الرَّأي.

٢ ـ ركَّز الشَّهيد الصَّدر رحمه الله على اتِّجاهين في التَّفسيرِ، هما: الاتِّجاه التجزيئيِّ والاتِّجاه الموضوعيِّ، وعرَّف كلٍّ منهما كالآتي:

***الاتِّجاه التجزيئيُّ**: هو المنهجُ الذي يتناولُه المُفسِّر ضمنَ إطارِ القرآنِ الكريمِ آيةً فآية، وفقاً لتسلسل تدوينِ الآياتِ في المصحفِ الشَّريف، أي: يبدأ المُفسِّر من الآيةِ الأولى من سورةِ الفاتحة إلى سورةِ الناس.

***الاتِّجاه الموضوعيُّ**: لا يتناولُ هذا الاتِّجاه تفسيرَ القرآنِ آيةً فآية كما في التَّفسير التجزيئيِّ، بل يحاولُ القيامَ بالدِّراسةِ القرآنيَّةِ لموضوعٍ من موضوعاتِ الحياة العقائديَّة، أو الاجتماعيَّة، أو الكونيَّة، فيُبيِّن ويَبحث ويَدرس ذلك، فيبحثُ مثلاً: عقيدةِ التوحيدِ في القرآنِ، أو يبحثُ عقيدةَ النُّبوَّةِ في القرآن، أو عن المذهبِ الاقتصاديِّ في القرآنِ، وهكذا...

٣ـ ذكر السَّيد الشَّهيد﵀ أهمَّ الخصائصِ للاتِّجاهين، وإن لم يُسمِّ ذلك بعنوانٍ تحتَ اسمِ (خصائصِ الاتِّجاهين)، وهي:

أ) يستهدفُ التفسيرُ التجزيئيُّ فهمَ مدلولِ اللَّفظ؛ لأنَّ الكثيرَ من الآياتِ وبمرورِ الزمنِ أصبح معناها، ومدلولها اللَّفظيُّ بحاجةٍ الى إبرازٍ أو تأكيدٍ، ونحو ذلك. وقد يستعين المُفسِّر بآياتٍ أُخرى كما يستعينُ بالأحاديثِ، والرِّواياتِ، ولكنَّ هذه الاستعانةَ تتمُّ بقصدِ الكشفِ عن المدلولِ اللَّفظيِّ الذي تحملُه الآيةُ بكلِّ الوسائلِ المُمكنةِ، أي: أنَّ الهدف (هدفٌ تجزيئيٌّ)؛ لأنَّه يقفُ دائماً عند حدودِ فَهمِ هذا الجزءِ، أو ذاكَ من النَّصِّ القُرآنيِّ.

ب) يستهدفُ التَّفسيرُ التَّوحيديُّ، أو الموضوعيُّ تحديدَ موقفٍ نظريٍّ للقرآن الكريمِ من موضوعاتِ الحياةِ، أو الكَونِ.

ج) حصيلةُ التَّفسيرُ التجزيئيُّ للقرآنِ الكريمِ أنَّنا سوفَ نحصلُ على أعدادٍ كبيرةٍ من المعارفِ والمدلولاتِ القرآنيَّة، ممَّا يؤدِّي إلى التناثرِ، وظهورِ التناقضاتِ المذهبيةِ العديدةِ في الحياة الإسلاميَّة.

د) سيطرَ الاتِّجاه الموضوعيُّ على السَّاحةِ الفقهيَّةِ، بينما سيطرَ الاتِّجاه التجزيئيُّ على السَّاحةِ القرآنيَّةِ، وأمَّا ما ظهر على الصَّعيدِ القرآنيِّ من دراساتٍ تُسمَّى بالتَّفسيرِ الموضوعيِّ أحياناً من قبيل دراساتِ بعض المفسِّرين حول موضوعاتٍ مُعيَّنةٍ تتعلَّق بالقرآن الكريم، كأسبابِ النزولِ في القرآنِ، أو الناسخِ والمنسوخِ أو مجازاتِ القرآنِ، فليست من التفسيرِ التَّوحيديِّ والموضوعيِّ بالمعنى الذي نريدُه، فإنَّ هذه الدِّراساتِ ليست في الحقيقةِ إلَّا تجميعاً عدديَّاً لقضايا من التَّفسيرِ التجزيئيِّ.

٤ ـ أوَّل أوجه الاختلافِ الرئيسيَّة بين الاتِّجاه التجزيئيِّ في التَّفسير، والاتِّجاه الموضوعيِّ هو: أن يكون دورُ المُفسِّر في الاتِّجاه التجزيئيِّ دوراً سلبياً، أي: يستمع ويُسجِّل، بينما وظيفة المفسِّر في التفسيرِ الموضوعيِّ هي حملُ تراثِ البشريَّة، ثمَّ يضعها بين يديِّ القرآن؛ ليحكمَ على هذه الحصيلةِ بما يمكنُ للمفسِّر أن يفهَمه. وسيأتي تفصيلُ هذا الوجهِ من الاختلافِ أكثر في الدَّرسِ الثاني إنْ شاءَ الله تعالى.

مُلَخّص
الدَّرْس الثَّاني

الأهدافُ المطلوبةُ من هذا الدرسِ

* أن يتعـرَّف الطالـبُ عـلى أوجـه الاختـلافِ بـين التَّفسـيرِ الموضوعيِّ والتَّفسير التجزيئيِّ

* أن يتعـرَّف الطالـبُ عـلى ترجيـح التَّفسـيرِ الموضوعـيِّ على التجزيئيِّ

١ـ قدَّم الشَّهيد الصَّدر ﷺ أوَّل أوجه الاختلافِ بشكلٍ مُفصَّلٍ في هذا الدرسِ بين الاتِّجاهيين التجزيئيِّ والموضوعيِّ للتفسير، وهو:

أ) إنَّ المُفسِّرَ في التفسير التجزيئيِّ ـ في الغالبِ ـ يكونُ دورُه سلبياً؛ لأنَّه يستمع ويُسجِّل (أي: كأنَّ وظيفة المُفسِّر هنا هي الاستماعُ)، **بمعنى آخر**: يبدأ المُفسِّر بتناول النَّصِّ القرآنيِّ المُحدَّد (آيةً فآية، أو مقطعاً قرآنيّاً) دون أيِّ افتراضاتٍ مُسبقةٍ، فهو يحاول أن يُحدِّد المدلول القرآنيَّ على ضوء ما يُسعفهُ به اللَّفظُ، وبما يتاحُ له من القرائنِ المتَّصلةِ، والمنفصلةِ.

ب) إنَّ وظيفةَ المفسِّر في التَّفسير الموضوعيِّ (التوحيديِّ)[1] في كلِّ مرحلةٍ وفي كلِّ عصرٍ أن يحملَ كلَّ تراثِ البشريَّة الذي عاشَه ـ بما فيها أفكارِ عصرِه، وما تعلَّمهُ من مَقولاتٍ خلال تجربتهِ البشريَّة ـ ليضعها بين يدَيِّ القرآنِ الكريم؛ ليحكمَ عليها من خلالِ ما يمكنُ أن يفهمهُ من مجموعةِ آياتِ القرآنِ المباركةِ.

---

(١) المقصود من كون التفسير موضوعياً؛ باعتبار أنَّ المفسِّر يختار مجموعة من الآيات تشترك في موضوع واحد. والمقصود من التوحيديِّ: أنَّ المفسِّر يوحِّد بين الآيات وبين مدلولاتها ضمن مركَّب نَظريّ واحد.

وعلى هذا الأساسِ يكونُ دور المُفسِّر فيه إيجابياً؛ لأنَّه لا ينطلقُ من النَّصِّ، بل يبدَأ من واقعِ الحياةِ بعد أن يُركِّز على موضوعٍ من موضوعاتِ الحياةِ العقائديَّةِ، أو الاجتماعيَّةِ أو الكونيَّة، فالمُفسِّر يسألُ والقرآنُ يُجيبُ، لا أن يتَّخذَ من نفسهِ دورَ المُستمع والمُسجِّل بالنِّسبةِ للنَّصِّ القرآنيِّ.

خلاصةُ الفارقِ الأوَّل:

إنَّ المفسِّرَ في التَّفسيرِ الموضوعيِّ يبدأ من الواقعِ الخارجيِّ ـ بحصيلةِ التجربةِ البشريَّةِ ـ ثمَّ يعودُ للقرآنِ الكريمِ ويستنطقُه، فيكونُ دوُر المُفسِّر دوراً إيجابيَّاً. بينما التَّفسيرُ التجزيئيُّ يبدأ من القرآنِ وينتهي بالقرآنِ، فيكونُ دوُر المفسِّر دوراً سلبيَّاً؛ لأنّه يُفرِّغُ ذهنه من جميع السَّوابقِ والمرتكزات الذِّهنيَّة، أي: كأنَّه يجلسُ جلوسَ المستمعِ لا جُلوسَ المحاورِ.

٢ـ قدَّمَ الشَّهيدُ الصَّدرُ ﵀ الفارقَ الثاني بين الاتِّجاهين، وهو:

أ) إنَّ المفسِّرَ في التفسيرِ التجزيئيِّ يكتفي بإبرازِ المدلولاتِ التفصيليَّة لآياتِ القرآنِ الكريم.

ب) إنَّ المفسِّرَ في التفسير الموضوعيِّ يطمحُ إلى أكثرِ ممَّا هو في التجزيئيِّ، حيثُ يحاولُ أن يحصلَ على أوجهِ الارتباطِ بين المدلولاتِ التفصيليِّة؛ ليصل إلى نظريَّةٍ قرآنيَّةٍ عن النُّبوَّة مثلاً، أو عن السُّننِ التاريخيَّة، أو عن السَّمواتِ والأرضِ وهكذا...

٣ـ إنَّ التَّفسـيرَ الموضوعيَّ هو الطريقُ الوحيدُ لتحصيلِ النَّظرياتِ الأساسـيَّةِ للإسـلامِ، وللقـرآنِ تجاه موضوعـاتِ الحيـاةِ المختلفةِ، كـما أنَّه قادرٌ عـلى التجدُّد والتطـوُّر، والإبداعِ باسـتمرار ـ فيكـونُ بذلك أوسـعُ أُفقاً وأكثرُ عطـاءً ـ فيتقدَّم خطـوةً على التَّفسـيرِ التجزيئيِّ؛ لكن هـذه الأفضليَّة لا تعني اسـتبدالَ اتِّجاهٍ باتِّجاهٍ آخـر، أي: طرحُ التَّفسـير التجزيئـيِّ والأخذُ بالموضوعيِّ، أو الاسـتغناءَ عن اتِّجاهٍ بآخر، وإنَّما المقصودُ هو ضمُّ وإضافةُ اتِّجاهٍ إلى اتِّجاه آخرَ.

***

مُلَخّصُ
الدَّرْسِ الثَّالِثِ

الأهدافُ المطلوبةُ من هذا الدرسِ

* أن يتعرَّف الطالبُ على مقدمةٍ عن أوَّلِ موضوعاتِ التَّفسير الموضوعيِّ وهو سُنن التَّاريخِ في القُرآنِ الكريمِ

السُّنَّة باللُّغة مُطلقاً، هي: الطَّريقةُ ـ سواء كانت سلبيَّةً أو إيجابيَّةً ـ والسُّنَّة الإلهيَّة اصطلاحاً، هي: الضَّابطةُ، والقانونُ الذي يتحكَّم في التاريخِ، لكنَّه ليس قانوناً قهريَّاً أو إجباريَّاً، بل هو نتيجةٌ طبيعيَّةٌ لمعطياتِ الحياةِ الإنسانيَّةِ.

١ـ القرآنُ الكريمُ أوَّل كتابٍ أكَّد على مفهومِ السُّننِ الإلهيَّةِ.

٢ـ لم ينزلْ القرآنُ ككتابِ اكتشافٍ، بل نزلَ كتابَ هدايةٍ، فلم يذكرْ كلَّ السُّننِ والقوانينِ؛ لأنَّه ليس كتاباً للمتخصِّصينَ، أو كتاباً مدرسيَّاً.

٣ـ عندما يَتحدَّث القرآنُ عن السُّننِ التاريخيَّة بكونهِ كتابَ هدايةٍ، فإنَّه يتحدَّث عن أُناسٍ وليس رسالةً؛ لأنَّ الوحيَ الربانيَّ فوق التَّاريخِ، لكنْ من الجهةِ العمليَّةِ فهي ترتبطُ بالجهدِ البشريِّ، تتحكَّم بهم القوانين كما تتحكَّم بغيرهم.

٤ـ إمكانيَّة تغيير السُّننِ من خلال تغيير سلوكِ الإنسانِ من حيثُ كونَها جهداً بشريَّاً يقاوم جُهوداً بشريَّةً أخرى، كانتصارِ المسلمين، أو هزيمتهِم بالمعاركِ التي ترجعِ لتوفُّر شروطِ النَّصرِ أو الخسارةِ.

***

مُلخّص

الدّرس الرّابع

الأهدافُ المطلوبةُ من هذا الدرسِ

* أن يتعرَّف الطالبُ على أساليبِ بيانِ السُّننِ التَّاريخيَّةِ

١ـ عبَّر القرآنُ الكريمُ عن التَّاريخِ بأساليبَ مختلفةٍ، فتارةً تُشيرُ الآياتُ إلى مفاهيمَ كليَّةٍ، وتارةً تذكر مصاديقَ لسُّننِ التَّاريخِ، وتارةً يمتزجُ المفهومُ الكليُّ مع مصداقِهِ.

٢ـ حثَّت بعضُ الآياتِ القرآنيَّةِ على الاستفادةِ من الحوادثِ التَّاريخيَّة السَّابقةِ.

٣ـ من الآياتِ التي بيَّنت أنَّ للتَّاريخِ سُننٌ وضوابطٌ بنحو المفهومِ العامِّ (الكليِّ) هي: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، بمعنى: أنَّ هناك أجلٌ وميقاتٌ للأمَّةِ بوصفها مجتمعاً، وليسَ الأجلُ المحدودُ بكلِّ فردٍ، وبمعنى آخرَ: أنَّ للتاريخِ سُنناً تتحكَّمُ به وراء السُّننِ الشخصيَّةِ المرتبطةِ بالأفراد. فتوكِّدُ هذه الآيةُ ـ وآياتٌ أخرى تتحدَّث عن السُّننِ ـ على استكشافِ السُّننِ الماضيَّةِ، والاعتبارِ بها.

٤ـ من الآياتِ التي بيّنَت أُنموذجاً خاصَّاً من نماذجِ سُننِ التاريخِ: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا * اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ

﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾

[فاطر: ٤٢ ـ ٤٣].

٥ـ مـن الآياتِ التي أكَّدت عـلى الحثِّ بالنظرِ، والتدبُّر في الحوادثِ التاريخيَّةِ:

﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا﴾[محمد: ٣٤].

***

مُلَخَّص

الدَّرْسِ الخَامِسِ

الأهدافُ المطلوبةُ من هذا الدرسِ

* أن يتعرَّفَ الطالبُ على خصائصِ السُّننِ التاريخيَّةِ

١ـ **الاطِّراد**: إنَّ السُّنّةَ التاريخيَّة مطَّردةٌ وليست عشوائيَّةٌ، أو قائمةٌ على أساس الصِّدفـةِ، أو الحـظِّ والاتِّفـاق، إنَّما هي ذاتُ طابـعٍ موضوعيٍّ وعلمـيٍّ[1] للقانون التاريخيِّ.

٢ـ **السُّـنَّة الإلهيَّـة ربانيَّةٌ**؛ لأنَّها تمثِّـل حكمةَ الله عزَّوجلَّ، وحُسـن تدبيرهِ على جميـعِ السَّـاحةِ التاريخيِّـة.[2] كـما أنَّ القـرآنَ يُؤمِن بوجـودِ علاقاتٍ بـين الحوادثِ التاريخيَّـة، وهذا هو (الاتِّجاه القرآنِّي)، لا (الاتِّجـاه اللَّاهوتيُّ) الذي يتناول الحادثةَ ويربطُها بالله تعالى، لكنَّه يقطعُ صِلتها مع سـائرِ الحوادثِ، **وبعبارةٍ أُخرى**: عندما يَسبغ القرآنُ الطابعَ الربانيَّ على السُّنَّة التَّاريخيَّة لا يُريدُ بذلكَ أن يتَّجه اتِّجاه التَّفسير اللَّاهوتيِّ في التَّاريخ، بل إنَّه يُريد أن يؤكِّدَ أنَّ هذه السُّـنَنَ ليست خارجةً عن قدرةِ الله تعالى.

---

(١) أهم ما يميِّز القانون العلمي عن سائر الفروض والمعادلات هو الاطّراد وعدم التخلُّف.
(٢) الساحة التاريخية: هي التي تشمل الحوادث والقضايا التي يهتم بها المؤرِّخون ويسجلوها في كتبهم.

٣ـ لا تتحكَّمُ السُّـننُ التاريخيَّةُ على جميعِ السَّـاحةِ التَّاريخيَّةِ، بل إنَّها تُسيطرُ على مسـاحةٍ مُعيَّنةٍ منها، **وبمعنى آخر**: إنَّ جزءاً من الحوادثِ، والقضايا تحكمُه سُـننُ التاريـخ، وهناكَ حوادثٌ لا تنطبقُ عليها، وإنَّما تطبَّـق عليها القوانينُ الفيزيائيَّةُ أو الفسلجية أو قوانين الحياة أو أيّ قوانين أخرى.

***

مُلخّص

الدَّرسُ السَّادِس

الأهدافُ المطلوبةُ من هذا الدرسِ

* أن يتعرَّفَ الطالبُ على خصائصِ الظَّواهرِ التَّاريخيَّةِ

١ـ هنـاك مميَّـز نوعـيٌّ للعمـلِ التاريخيِّ، وهو غـير موجودٍ في سـائر الظَّواهرِ الكونيَّةِ الأُخرى، وهو العملُ الذي يُمثِّل له غايةٌ (هدف)، فمِثل هذا العملِ تجري عليه سُننُ التاريخِ.

٢ـ كلُّ عملٍ يكونُ عملاً تاريخيَّاً (أي: داخلاً في نطاقِ سُنن التاريخِ) لابدَّ من توفُّر فيه ثلاثةَ أبعادٍ، هي:

أ) **البُعد الأوَّل**: الفاعِل (أي: السَّبب)

ب) **البُعد الثاني**: الغايةُ (أي: الهدف)

ج) **البُعـد الثالـث**: أن يكونَ لهذا العمـلِ أرضيَّةٌ تتجـاوزُ ذاتَ العملِ، وهذه الأرضيَّةُ عبارةٌ عن المجتمعِ.

٣ـ هنـاك أعـمالٌ فرديَّـةٌ لها غايةٌ (هـدف)، إلَّا أنَّها لا تتعـدَّى، أو تمتدُّ إلى أكثرَ مـن العاملِ (الفرد) نفسـه. بخـلاف أعمالٍ أُخرى يقـومُ بهَا هذا الفـردُ من خلالِ العلاقاتِ المتبادلةِ مع أفرادِ جماعتِه، أي: فيها نشـاطٌ اجتماعيٌّ، وهنا يتعدَّى العملَ شـخصَ العاملِ، وهذا التعدَّي (الموج) يتَّخذُ من المجتمعِ أرضيَّةً لهُ ـ أو ما تُسمَّى بالعلَّة الماديَّة لهذا العملِ ـ.

٤ـ مَيَّـز القـرآنُ الكريـمُ الأعـمالَ الخاصَّـةَ بالفـردِ (أي: التي تحمـلُ بُعدان)، وأعـمالَ المجتمـعِ (التى تحملُ ثلاثـةَ أبعادٍ)، فالأوَّل يُحاسـبُ عليه الفـردُ، والثَّاني تُحاسـبُ عليه كأمَّةٍ، **وبعبـارةٍ أُخرى**: هناكَ سِـجلَّان للعملِ، الأوَّل سِـجِّلَ عملَ الفـردِ والثاني سِـجِّل عملَ الأمَّـة، وهذا العملُ الـذي يحملُ الأبعـادَ الثلاثَة التي ذكرناهَا هي (عملُ المجتمعِ) موضوع سُننِ التاريخِ.

٥ـ لا يتوَّهـمُ ـ كما توهَّم به الفلاسـفةُ الأوربيـين ـ أنَّ الفردَ، والمجتمعَ كائنانِ أحدهـم قِبال الآخر، ومـا يُميِّز بينهما هـي الأبعادُ التي ذكرنَاها، فمـن كانَ يحمِلُ بُعديـنِ فهوَ عملُ الفردِ، ومن كانَ يحملُ ثلاثةَ أبعادٍ فهوَ عمُلُ المجتمعِ، وعلى هذا الأسـاسِ فإنَّ موضوعَ السُّـننِ التَّاريخيَّةِ هو العملُ الهادفُ الذي يتَّخذ من المجتمعِ أرضيَّةً لهُ، وإن اختلفَتْ سِعةُ الموجةِ وضِيقها.

***

مُلَخَّصُ

الدَّرْسِ السَّابِعِ

الأهدافُ المطلوبةُ من هذا الدرسِ

* كيفيَّةُ التعبيرِ موضوعيّاً عن القانونِ التاريخيِّ في القرآنِ
* أن يتعرَّف الطالبُ على أشكالِ السُّننِ التاريخيَّة (١)

١ـ هناك ثلاثةُ أشكالٍ للسُّنَّة التَّاريخيَّةِ في القرآنِ الكريمِ، استعرضَها الشَّهيد الصَّدر رحمه الله، وبيَّن الفوارقَ فيما بينها.

٢ـ شكلُ القضيَّةِ الشرطيَّةِ (العلاقةُ بين الشرطِ والجزاءِ)، ومفادُها: أينما وُجِد الشَّرط وُجِد الجزاءُ، وقد صِيغَ الكثيرُ منها في القرآنِ الكريمِ، حيثُ إنَّ اختيارَ الإنسانُ يُشكِّل المحورَ الأساسيَّ فيها، بل إنَّها تزيدُ من قوَّةِ اختياره، وإمكانيَّةِ القُدرةِ في تصرُّفهِ، **بمعنًى آخرَ**: يُمكن للإنسانِ أن يتصرَّف بالجزاءِ، فإنْ وجَد أنَّه راغبٌ به، عمِلَ على توفُّر شرطهِ، وإذا عرفَ أنَّه لا يرغبُ به، فيعملُ على عدمِ تحقُّقه والحيلولةِ عنه، ومن أمثلةِ القرآنِ عنهَا، قولهُ تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ**﴾ [سورة الرعد: ١١].

٣ـ شكلُ القضيَّة الفعليَّة، ومفادها: هي القضيَّةُ الناجزةُ والمحقَّقةُ، فلم تُصغ بلغة القضيَّةِ الشرطيَّةِ، ومن أمثلتهَا القوانينُ الطبيعيَّةُ الكونيَّةُ، فلا يملكُ الإنسانُ من أن يُغيِّر من ظروفِهَا أو شروطِهَا، وقد توَّهم الفكرُ الأوروبيُّ على بعضهِم بالقولِ: لم تبقَ أيُّ إرادةٍ للإنسانِ، وحينئذٍ سيكونُ دورُه سلبيّاً. وعلى البعضِ

الآخـر: قامَ بإلغاءِ السُّـننِ من أجلِ المحافظةِ على اختيارِ الإنسـانِ. ولا على القَولِ الثالثِ منهم: التَّلفيقُ بين اختيارِ الإنسـانِ، والسُّـننِ التَّاريخيَّـةِ. وكلُّ هذه الأقوالُ خاطئةٌ، وإبطالها يتَّضحُ من خلالِ النظرِ في الشَّكل الأوَّلِ ألَا وهو القضيَّة الشّرطيَّة ومعرفةُ اختيارِ ودورِ الإنسانِ الذي لم يُلغَ.

٤ـ السُّنَّة المُصاغةُ على صورةِ الاتِّجاه الطبيعيِّ، مفادُهَا: هناك اتِّجاهاتٌ لها شيءٌ مـن المرونةِ، ولو على شـوطٍ قصيرٍ، من قَبيل ما رُكِّبَ في طبيعةِ الإنسـانِ، وتركيبهِ كالاتصالِ بين الذَّكرِ والأنثَى، فهي وإن كانت سُنَّةً، لكنَّها سُنَّةٌ على مُستوى الاتِّجاهِ لا القانـونِ، لِما لدورِ الإنسَـانِ فيها من قابليَّـةِ التحدِّي لفترةٍ مـن الزمنِ. وهذا ما يُسـمَّى بالاتِّجاه الموضوعيِّ، وهو سُـنَّةٌ من سُـننِ التاريخِ، إلَّا أنَّ فيـهِ من المرونةِ، وإمكانيَّة التحدِّي، ومن أهمِّ مصَاديقهِ: الدِّين.

***

مُلَخّصُ

الدَّرسِ الثّامِنِ

الأهدافُ المطلوبةُ من هذا الدرسِ

* أن يتعرَّفَ الطالبُ على عناصرِ المجتمعِ في القرآنِ الكريمِ

١ـ إنَّ الدينَ هو المصداقُ الواضحُ لسُننِ التاريخِ، فهوَ ليسَ مجرَّد تشريعٍ، بل هو حاجةٌ أساسيَّةٌ، وهو شكلٌ ثالثٌ من أشكالِ السُّننِ التاريخيَّةِ التي تقدَّم ذِكرها في الدرسِ السابعِ، والذي ـ أي: الشَّكلِ الثالث ـ هو عبارةٌ عن اتِّجاهاتٍ موضوعيَّةٍ يُمكن أن يُتحدَّى بها على المدى القَصير.

٢ـ لكي نعرفَ أنَّ الدِّين سُنَّةٌ من سُننِ التاريخ لابدَّ أن نُحلِّل عناصرَه على ضوءِ الآياتِ القرآنيَّة حتَّى نصلَ إلى أنَّ الدينَ سنَّة من سُننِ التاريخ.

٣ـ الآيةُ الكريمةُ في قولهِ تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٣٠] هي التي تعطينا صيغةَ عناصرِ المجتمعِ.

٤ـ للعلاقةِ الاجتماعيَّةِ صيغتانِ: **الأولى**: صيغةٌ رباعيَّةٌ، **والثانية**: صيغةٌ ثلاثيةٌ، والآيةُ الكريمةُ التي تقدَّمت تُؤكِّد الصِّيغةَ الرُّباعيَّة.

٥ـ العناصرُ الأساسيَّةُ الثلاثيَّة هي: الإنسانُ، الأرضُ، علاقةُ الإنسانِ

بالإنســانِ. أمَّا العناصرُ الرباعيَّةُ فهي بالإضافة لِمـا تقدَّم من عناصرَ ثلاثةٍ، يُضافُ لها الاســتخلافَ، حيثُ يُعتبر هـذا الطَّرفِ مُقوِّماً أساسـيَّاً للعلاقةِ الاجتماعيَّةِ بين الإنســانِ والطَّبيعةِ، وبين الإنســان وأخيه، على الرَّغمِ من أنَّه خارجُ إطارِ المجتمعِ أي: هـي علاقةٌ يؤدِّي بها الإنســانُ واجبه لهذه الخلافةِ، فهو أمينٌ على ما اســتُؤمِنَ عليه.

٦ـ اســتخلصَنا مـن الآيةِ الســابقةِ أنَّ الدينَ هو سُــنَّةٌ من سُــننِ التاريخِ، وأنَّ صيغـةَ الدينِ عبارةٌ عن العلاقةِ الاجتماعيَّةِ الرباعيَّةِ ذات الأطرافِ الأربعةِ، وهذه السُّنَّة من الشكلِ الثالثِ حيثُ تقبلُ التحدِّي.

٧ـ هنـاكَ ركنـانِ ثابتـانِ في العلاقـةِ الاجتماعيِّـةِ، أحدهمـا: الإنسـانُ وأخوه الإنســان. والثــاني: الطَّبيعةُ (الكــونُ، الأرضُ). كِلاهما داخــلٌ في الصِّيغةِ الثلاثيَّةِ والرباعيَّة؛ لذا نُسمِّيهم بالركنينِ الثابتينِ في العلاقةِ الاجتماعيَّة.

***

مُلخّص

الدّرس التّاسع

الأهدافُ المطلوبةُ من هذا الدرسِ

* أن يتعرَّفَ الطالبُ على دورِ الإنسانِ في حركةِ التاريخِ

١ـ إنَّ محتوَى الإنسانِ الداخليِّ هو الأساسُ لحركةِ التاريخِ؛ ولأنَّها حركةٌ هادفةٌ فهيَ حركةٌ غائيَّةٌ، أي: لها علَّة تتطلَّع للمستقبلِ، فالمستقبلُ هو المحرِّك لأيِّ نشاطٍ تاريخيٍّ، وهذا المستقبلُ يُحرِّك من خلالِ الوجودِ الذهنيِّ الذي يتمثَّل فيه هذا المستقبل.

٢ـ الوجودُ الذهنيُّ هو المحرِّك والحافزُ لحركةِ التاريخِ، فيتجسَّد فيه الجانبُ الفكريُّ، وكذلك الإرادةُ المحفَّزةُ للإنسانِ.

٣ـ الفكرُ، والإرادةُ ركنانِ أساسيانِ في محتوَى وشعورِ الإنسانِ الداخليِّ، فمحتوَى الإنسانُ هو من يصنعُ الغاياتِ، ويُجسِّد الأهدافَ من خلالِ مزجهِ بينَ فكرةٍ، وإرادةٍ.

٤ـ لابدَّ من سيرِ بناء الإنسانِ لمحتوَاه الداخليِّ جنباً إلى جنبٍ مع البناءِ الخارجيِّ للمجتمعِ، وإذا انفكَّت إحدى هاتين العمَليتين عن الأُخرى ستفقدُ حينئذٍ حقيقتَها، **وبعبارةٍ أُخرى**: إذا لم يُغيِّر الإنسانُ ما في قلبهِ وروحهِ إلى ما هوَ صالحٌ وأفضلُ، لا يمكنُه بناءَ مجتمعٍ صالحٍ.

٥ـ إنَّ المحورَ الذي يستقطبُ عمليةَ البناءِ الداخليِّ للإنسانِ هوَ المثلُ الأعلى، وهو من يحدِّدُ الغاياتِ، فإذا كانَ المثلُ الأعلى صَالحاً وعَالياً تكونُ الغاياتُ صالحةً، وكذلكَ العكس. **إذن**: فالمثلُ الأعلَى هو نقطةُ البدءِ في بناءِ المحتوَى الداخليِّ للفردِ والمجتمعِ.

٦ـ لكلِّ حركةٍ تاريخيَّةٍ مَثلُها الأعَلى، وأطلقَ القرآنُ الكريمُ عليهِ بالإلَهِ باعتبارهِ قائداً مُطاعاً مُوجِّهاً، سُمِّي بالإله؛ لأنَّه من يصنعُ مسارَ التاريخِ.

٧ـ تنقسمُ المُثل العُليا التي تتبنَّاها الجماعاتُ البشريَّةُ إلى ثلاثةِ أقسامٍ، هي: المثلُ الأعلَى المنخفضُ، والمُثل العُليَا المشتقَّةُ من طموحٍ محدُودٍ، والمثلُ الأعلى الحقيقيُّ.

٨ـ يستعرضُ الشَّهيد الصَّدرُ ﵀ في هذا الدرسِ القسمَ الأوَّل منهَا، وهو: المُثل العُليا المنخفضةُ، وهذا المثلُ الأعلَى المنخفضُ هو مُنتزعٌ من الواقعِ المُعاشِ للجماعةِ البشريَّةِ، كما يعتمدُ هذا المثلُ على تجميدِ الواقعِ، أي: لا تستطيعُ الجماعَةُ البشريَّةُ أن تتجاوزَ ذلك الواقعَ، وبالتالي لا تُحقِّق طموحَاتِها.

٩ـ إنَّ دواعي تبنِّي المثل الأعلى المنخَفض يعودُ لسَببين: **الأوَّل**: سببٌ نفسيٌّ، وهو الأُلفةُ والعادةُ والضَّياع. **والثاني**: سببٌ خارجيٌّ، وهو تسلُّط الفراعنةُ والطَّواغيتُ على مرِّ التاريخِ. والمرادُ بالأُلفةِ هي حالةُ الخمولِ والرُّكودِ، والمراد من تسلُّط الفراعنةِ هو حكوماتُ الجُورِ التي تعملُ على إغماضِ عيونِ المجتمعِ من تحويلِ واقعهِم المعاشِ لمثلٍ أعلى حقيقيٍّ.

مُلخّص

الدّرس العاشر

الأهدافُ المطلوبةُ من هذا الدرسِ

* أن يتعرَّفَ الطالبُ على الطابعِ الدينيِّ في المُثل العليا المنخفضةِ
* أن يتعرَّفَ الطالبُ على المُثل العليا المشتقَّةِ من طموحٍ محدودٍ
* أن يتعرَّفَ الطالبُ على النوعِ الثالثِ، وهو المثلُ الأعلى الحقيقيُّ

١ـ يذكرُ الشَّهيدُ الصَّدر ﵀ أنَّ المُثلَ العليا المنخفضةَ غالباً ما تتَّخذُ طابعَ الدينِ لباساً لها؛ من أجلِ إعطاءَها القدسيَّة؛ وذلك للمحافظةِ عليها واستمرارَها على السَّاحة.

٢ـ الأمَّة التي تتمسَّكُ بمَثلها المنخفضِ سوفَ تفقدُ ولائهَا لهُ؛ لأنَّه سيصبحُ أمراً مفروضاً غير قادرٍ على تطويرِ البشريَّةِ، أي: يُفقد فاعليَّته وقدرتهُ على العطاءِ، وبعد أن تتمزَّقَ سوف تتحوَّل إلى شبحِ أمَّةٍ.

٣ـ هناكَ إجراءاتٌ تاريخيَّةٌ ثلاثةٌ كبدائلٍ تجاهَ الأمَّة المُنهارةِ، **الأوَّل**: تتداعى أمَام غزوٍ عسكريٍّ خارجيٍّ، **الثاني**: أن تستبدلَ المثلَ الأعلى بعد انهيارهِ بمثَلٍ أجنبيٍّ مستوردٍ من الخارجِ. **الثالثُ**: محاولةُ إعادةِ المثلِ الأعلى بعد ضَياعهِ إلى الحياةِ، وتقديمِه بلغةِ العَصرِ، وبمستَوى حاجاتِ المسلمين.

٤ـ النوعُ الثاني من المُثل العليا هي المُثل العليا المشتقَّة من طموحٍ محدودٍ، وهذا المَثل أُنتزعَ من طموحِ الأمَّة، فهو يتطلَّعُ للمستقبلِ، لكنَّه طموحٌ مُقيّدٌ لا يتجاوزُ مسافاتٍ طويلةٍ، إنَّما استطاعَ تكوينَ رؤيةٍ مستقبليَّةٍ محدودةٍ انتزع منها المَثل الأعلى.

٥ـ يحتوي هذا المثلُ على خطرٍ كبيرٍ، وهو حينَما يتحوَّلُ التصوُّرُ الذهنيُّ المُقيَّدُ والمحدودُ إلى مُطلقٍ، ويُنتزعُ منه مثله الأعلى، وسيكون حينئذٍ عقبةً، وعائقاً للتطوُّرِ، واستمرارِ زحفِ الإنسانِ نحو كمالِهِ.

٦ـ المثلُ الذي يُعمَّم ويُحوَّلُ من محدودٍ إلى مُطلقٍ، تارةً يكونُ تعميماً أفقيَّاً خاطِئاً، وتارةً تعميماً زمنياً خاطئاً. والتعميمُ الأفقيُّ: هو أن ينتزعَ الإنسانُ من تصوِّره المستقبليِّ مثلاً، ويعتبر هذا المثلُ ضامَّاً لكلِّ قيمِ الإنسانِ التي يجاهدُ من أجلِها، بينما هذا المثلُ يُمثِّل جزءاً من هذه القِيم، وعلى هذا الأساسِ يكونُ هذا التعميمُ الأفقيُّ خاطئاً. أمَّا التعميمُ الزمنيُّ: فهو أن ينتزعَ الإنسان من خطوةٍ محدودةٍ عبر الزمنِ، ويحوُّلها إلى مُطلقٍ، أي: مثلٍ أعلى، وهو كسابقِهِ لا يُمثِّل إلَّا جزءاً من قيمِ الإنسانِ.

٧ـ تحوُّل النوعُ الثاني من المثُل العليا (المُثل العليا المشتقَّة من طموحٍ محدودٍ) عبر الزمنِ الذي تمرُّ به الأمَّةُ له أربعةُ مراحلٍ، هي: ١ ـ مرحلةُ فاعليَّةِ هذا المَثل (مرحلة الإبداعِ والتَّجديدِ). ٢ـ مرحلةُ الجمودِ (التحوُّل إلى تمثالٍ). ٣ـ الامتدادُ التاريخيُّ للسُّلطةِ (السَّادة والكُبراء المُطاعين). ٤ـ تسلُّط المجرمون على الناسِ.

٨ـ النوعُ الثالث من المُثل العليا، هو المثلُ الأعلى الحقيقيُّ، وهو اللهُ سبحانهُ وتعالى. وسيأتي تفصيله في الدرسِ اللَّاحقِ.

مُلخّص

الدّرس الحادي عشر

الأهدافُ المطلوبةُ من هذا الدرسِ

* أن يتعرَّف الطالبُ على المثلِ الأعلى الحقيقيِّ

١ـ المَثل الأعـلى الحقيقيُّ: هو القسـمُ الثالثُ من المُثل العُليـا، وهو مَثلٌ أعلى مُطلـقٌ، أي: غير المحـدودِ وغير المُتناهي، وهـذا المَثل هو اللهُ سـبحانهُ، وعلى هذا الأسـاسِ سـيجعلُ الطريقَ نحوه مُسـتمراً، والفسحةُ التي بينَ الإنسـانِ وبينَ الله فُسـحةٌ لا متناهيةٌ، وبالتالي سـيتركُ المجـالَ للإبداعِ والتطوُّر والتقـدُّم ممتدّاً، وغير متناهٍ.

٢ـ بعـد أن تجعـلَ البشريَّـة مَثلها الأعلى الحقيقيَّ ـ وهو اللهُ سـبحانه ـ سـوف يحـدثُ لها تغيـيران، **الأوَّل**: تغيير كميٌّ، وهـو إزالةُ المُثلِ المنخفضـةِ، والزائلةِ عن مسيرةِ البشريَّةِ التكامليَّة. **والثاني**: هو النوعيُّ، وهو شعورُ الإنسانِ بالمسؤوليَّةِ تجاه المثلِ الحقيقيِّ، كما يُعتبر شرطاً رئيسيّاً في نجاحِ مسيرةِ البشريَّةِ التكامليَّةِ.

٣ـ دينُ التَّوحيدِ الذي دعَا إليه الأنبياءُ يُحاربُ المُثَلَ المنخفضةَ والزائفةَ والآلهةَ المصطنعـةَ، كما حـاربَ الأنبياءُ عليهم السلام المترفـين في مجتمعاتِهم؛ لأنَّهم المسـتفيدونَ من المُثلِ المنخفضةِ.

٤ـ تبنِّي هذا المثل الحقيقيَّ عند مسيرةِ البشريَّةِ يتوقَّفُ على عدَّةِ شروطٍ:

أ) الرؤيةُ الواضحةُ فكريَّاً، وإيديولوجيَّاً.

ب) الطَّاقةُ الروحيَّةُ المستمدَّة من المَثل الأعلى الحقيقيِّ.

ج) يختلفُ المثلُ الأعلى الحقيقيُّ عن المُثل العُليا المنخفضةِ، والتكراريَّةِ السَّابقةِ.

٥ـ أصولُ الدِّين الخمسة تُساهمُ في تركيبِ هذا المثلِ الأعلى، وهي: التوحيدُ والعدل، والنبوة، والإمامة، والإيمان باليوم الآخر (يوم القيامة).

***

مُلخَّص

الدَّرسِ الثَّاني عَشَر

الأهدافُ المطلوبةُ من هذا الدرسِ

* أن يتعرَّف الطالبُ على دورِ العلاقاتِ الاجتماعيَّة في حركةِ التَّاريخِ

١ـ ذكرَ الشَّهيد الصَّدر ﵀ في الدروسِ السابقةِ ثلاثةَ أنواعٍ من العناصر، وهي: (الإنسانُ، الطبيعةُ، العلاقةُ الاجتماعيَّة)، ومرَّ ذكرُ العنصرين الأولين، أمَّا العنصرُ الثالث فهوَ محورُ هذا الدرس، حيث إنَّ العلاقةَ الاجتماعيَّة تتوقَّف على علاقتين مزدوجتين، هما: علاقةُ الإنسانِ مع الطَّبيعةِ، وعلاقةُ الإنسانِ مع الإنسانِ.

٢ـ علاقةُ الإنسانِ مع الطَّبيعةِ من خلالِ استثمارَها، ومحاولةُ تطويعهَا، وإنتاجِ حاجاتـهِ الحياتيَّةِ منها، أمَّا علاقةُ الإنسانِ بأخيهِ الإنسانِ في مجالِ توزيعِ الثروةِ، أو في سائرِ الحقولِ الاجتماعيَّةِ، وأوجهِ التفاعُلِ الحضاريِّ بينَ الإنسانِ، وأخيهِ الإنسانِ.

٣ـ المشكلةُ التي تواجهُ علاقَةَ الإنسانِ مع الطَّبيعةِ هي مشكلةُ التناقضِ بينهما أي: تمرِّد الطَّبيعةِ وعصيانها عن الاستجابةِ للطَّلبِ الإنسانيِّ، وحاجتهِ لها. أمَّا المشكلةُ التي تواجهُ علاقةَ الإنسانِ مع أخيهِ الإنسانِ هي التناقضُ الاجتماعيُّ الذي يتَّخذُ صِيغاً متعدِّدةً، وألواناً مختلفة، وإن بقيَ في حقيقتهِ وجوهرِه وروحِه واحداً وثابتاً، كالتناقضِ بين القويِّ والضَّعيفِ.

٤ـ المتكفِّلُ بحلِّ كِلا المشكَلتين هو الإسلامُ، ورسالتِهِ التي تُؤمنُ بحلِّ التناقضاتِ الاجتماعيَّةِ، وذلك بمستويين: **الأوَّل**: جهادٌ أكبر، وهو تصفيةُ التناقضِ الرئيسيِّ لمحتوى الإنسانِ الداخليِّ. **الثاني**: جهادٌ أصغر، وهو حلُّ التناقض الاجتماعي، أي: بناء المجتمع كتصفية الاستئثار بالقوي للضعيف.

***

مُلخّص
الدّرس الثّالث عشر

الأهدافُ المطلوبةُ من هذا الدرسِ

* أن يتعرَّفَ الطالبُ على التأثيرِ المتبادلِ في العلاقاتِ الاجتماعيَّة

١ـ إنَّ علاقةَ الإنسـانِ مع الطَّبيعةِ، وعلاقةُ الإنسـانِ مع أخيهِ الإنسانِ خطَّان مُسـتقلانِ أحدُهما عن الآخرِ، وعلى الرَّغمِ من هذا الاسـتقلالِ النسـبيِّ، يؤثِّر كلُّ واحدٍ منهما في الآخرِ تأثيراً طرديَّاً أو عكسيَّاً.

٢ـ طرحَ القـرآنُ الكريـمُ نَحويـن مـن العلاقـةِ لتأثيرِ الإنسـانِ مـع الطَّبيعةِ والإنسـانِ مع أخيه الإنسـان، **الأولى**: مدَى تأثيرِ علاقةِ الإنسـانِ مـع الطَّبيعةِ على علاقةِ الإنسـانِ مع الإنسان. **والثانية**: مدى تأثير علاقةِ الإنسان مع أخيهِ الإنسان على علاقة الإنسان مع الطَّبيعة.

٣ـ مـؤدِّى العلاقـة الأولى التي طرحها القرآنُ في التأثـيرِ المتبادلِ ـ الذي تقدَّم ـ هـو: كلـما نَمـت خبرةُ الإنسـانِ في الطَّبيعةِ، واتَّسـعتْ سـيطرتُه عليهـا، تحقَّقتْ بذلك إمكانيَّةُ اسـتغلالِ خطِّ علاقةِ الإنسـانِ مع أخيةِ الإنسـان. ومؤدَّى العلاقَة الثانيـة هو: كلما جَسَّـدت علاقاتُ الإنسـانِ مع أخيهِ الإنسـانِ العدالةَ، اسـتطاعَ أن يسـتوعبَ قِيـم العدالـةِ، وابتعدَ عن أيِّ لونٍ مـن ألوان الظُّلمِ، فـإنْ تحقَّق هذا ازدهرَتْ علاقة الإنسـانِ مع الطَّبيعـةِ، وبالتَّالي هي من تَتفتَّح لـه، وتُخرجُ كنوزَها وثرواتِها وتَنزل البركاتُ من السَّماء.

٤ـ هنـاك فـارقٌ رئيـسيٌّ وجوهريٌّ بـين المُثلِ المنخفضـةِ، وبين المَثـل الأعلى، حيـثُ إنَّ المُثل المنخفضة تُجزِّئ وتُمزِّق البشــريَّة، بينـما المَثل الأعلى الحقيقيُّ ـ وهو اللهُ سبحانه ـ بشموليتهِ يوحِّد البشريَّة.

٥ـ المجتمعُ الفرعونيُّ ينقسمُ إلى فصائلَ وجماعاتٍ:

أ) الظَّالمون المستضعفونَ (أعوانُ الظَّلمة)

ب) ظالمونَ متملِّقون (الحاشية)

ج) الهمجُ الرُّعاعُ

د) المهادِنونَ السَّاكتونَ عن الظُّلمِ

هـ) المتهرِّبونَ من مسرحِ الحياةِ (إمَّا رهبانيَّةٌ، وإمَّا مفتعِلةٌ للرهبانيَّةِ)

و) المستضعفونَ

٦ـ إنَّ المجتمعَ يتناسبُ مع مدَى الظلمِ فيه تناسباً عكسيَّاً مع ازدهارِ علاقاتِ الإنسـانِ مع الطَّبيعةِ، ويتناسـبُ مدَى العدلُ فيه تناسباً طرديَّاً مع ازدهارِعلاقاتِ الإنسانِ مع الطَّبيعةِ.

٧ـ المجتمـعُ الفرعـونيُّ المُتشـتِّت مهـدورُ القابليـاتِ والطاقـاتِ؛ لـذا تَحبس السَّماء قطرها، وتمنعُ الأرضَ بركاتهَا، بعكسِ مجتمعِ العدلِ المتوحِّدِ فيه القابلياتُ وتتساوى فيه الفرصُ، والإمكاناتُ.

مُلَخَّص
الدَّرْسُ الرَّابِعَ عَشَرَ

الأهدافُ المطلوبةُ من هذا الدرسِ

* أن يتعـرَّف الطالبُ على النظرةِ القرآنيَّةِ للمجتمعِ التي هي الأساسُ في اتِّجاهاتِ التشريعِ

١ـ إنَّ النظريةَ القرآنيَّة في تحليلِ عناصرِ المجتمعِ، وفهمِهِ فهَماً موضوعيَّاً تُشكِّل أساساً للاتِّجاه العامِّ في التشريعِ الإسلاميِّ.

٢ـ إنَّ منطقةَ التفاعلِ بين (علاقةِ الإنسانِ مع الطَّبيعةِ، وعلاقةِ الإنسانِ مع أخيهِ الإنسان) ـ التي تقدَّم تفصيلها في الدَّرسِ السابقِ ـ، هي منطقةُ التفاعلِ والمرونةِ، والتي تُشكِّل منطقةَ الفراغِ، كما سمَّاها بذلك الشَّهيد الصَّدر رحمه الله في كتابهِ (اقتصادُنا).

٣ـ منطقةُ الفراغِ تُشكِّل الأساسَ للعناصرِ المرنةِ، والمتحرِّكةِ في التَّشريعِ الإسلاميِّ.

٤ـ إنَّ الصورةَ التشريعيَّةَ الإسلاميَّةَ الكاملةَ للمجتمعِ تحتوي على جانبين: **الأوَّل**: يحتوي على عناصرَ ثابتةٍ. **الثاني**: يحتوي على عناصرَ متحرِّكةٍ ومرنةٍ.

٥ـ العناصرُ المتحرِّكةُ والمرنةُ هي التي تُركَت للحاكمِ الشرعيِّ أن يملأَها.

***

الخاتمة

بعد أن بَيَّن الشَّـهيد الصَّدر رحمه الله التفسـيرَ ومدارسـهِ، رجَّح الاتِّجاهَ الموضوعيَّ، ثـمَّ خاضَ في تطبيقـهِ، واختارَ بحثَ السُّـننِ التاريخيَّـة في القرآنِ الكريـم، كما بَيَّن عناصرَ المجتمعِ، وحركةَ الإنسـانِ، ودورِه في السَّاحةِ التاريخيَّة، وطبيعةِ العلاقاتِ الاجتماعيَّـة، والذي يُعتبر من أعمقِ الأطروحاتِ التي جاءَ بها الشَّـهيد الصَّدر رحمه الله في مجال تفسـيرِ القرآنِ الكريمِ تحتَ أسلوبِ التفسيرِ الموضوعيِّ، حيثُ عالجَ فيها مـا تقدَّم مـن أبحاثٍ مـُعـالجــة ودراسـةً في القرآنِ الكريمِ كافيـةً ووافيةً، حيثُ جسَّد أهميَّة هذا التفسيرِ من خلالِ إبرازِ وجوهٍ جديدةٍ في السَّاحةِ الإنسانيَّةِ وافتتحَ ميادينَ النظريَّاتِ العلميَّةِ الحديثةِ، التي لا يُمكنُ تغطيتها، ولا إيجادُ الحلول لها إلَّا باللُّجوء إلى التفسيرِ الموضوعيِّ للقرآنِ الكريمِ.

أركان الخزعلي

٢٩/ شهر رمضان/ ١٤٤٣هـ

هذه الخلاصة هي عُصارة ما جاء في كتاب الشهيد الصدر رحمه الله،

هدية لطلاب البكالوريوس في جامعة آل البيت عليهم السلام العالمية

كلية القرآن والحديث.

ولكن ليعلم الطالب أن هذه الخلاصة لا فائدة منها لما لم يُقرأ متن

الكتاب أوّلاً.

www.alhashemi.net

info@alhashemi.net

+ 98 9192534044